السّجل النّصي قراءة في بلاغة الخطاب الحسيني في ضوء نظرية التلقي

أ.م.د. علي حسن هذيلي الباحثة: نرجس مهدي عبهول
جامعة سومر- كلية التربية الاساسية

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى محاولة التعريف بإحدى آليات نظرية التلقي التي دعا لها آيزر إذ يشتمل السجل النصي على آليات إجرائية تعتمد على تأصيل العلاقة بين النص ومرجعيات المتلقي وعمليات الفهم إذ اشتملت مرجعيات النص في أغلبها على نصوص وقراءآت سابقه تداخلت مع بعضها البعض حتى نضجت للواقع ليصبح السجل النصي بعد ذلك إجراءً راجعاً إلى كل ما هو سابق مما يساهم في بناء المعنى الذي ينشأ نشاة جديدة مع كل قراءة جديده للنص إذ تطمح نظرية التلقي التي يشكل ركائزها الثالوث المتمثل بالكاتب ثم النص ثم القارئ إلى سيادة هيمنة الركيزة الأساسية" القارئ "وهذا ما تدعو له الدراسات النقدية المعاصرة اليوم كي تستخرج المعاني المضمرة من مكامن النصوص.

الكلمات المفتاحية: (السجل النصي، بلاغة الخطاب الحسيني، نظرية التلقي).

The textual record: A reading of the rhetoric of Husseini's speech in light of reception theory

Dr. Ali Hassan Hadili, researcher: Narges Mahdi Abhoul
Sumer University – Faculty of Basic Education

Abstract:

This study aims to define one of the mechanisms of reception theory advocated by Iser, where the textual record should include procedural mechanisms that seek to establish the relationship between the text and the recipient's references and the processes of understanding. The references in the text mostly comprised previous texts and readings that overlapped with each other until they matured Into reality, making the textual record afterwards a procedure that refers back to everything prior, contributing to the

construction of meaning that emerges renewed with each new reading of the text. The ambition of reception theory, whose pillars are formed by the triad of author then text then reader, is for the dominance of the foundational pillar – the reader, which is what contemporary critical studies today call or to extract the implied meanings from the depths of the texts.

Keywords: (textual record, rhetoric of Husseini speech, reception theory).

المقدمة:

لكل نص انطلاقه لبناء هيكلته وقد تكون هذه الانطلاقة ذات مرجعيات ثقافيه او معرفيه او علميه او ادبيه اذ لا يمكن ان ينطلق المتلقي في العدم والفراغ وقد اشار لهذا المعنى المنظر الاول للتلقي "آيزر" واسماه "السجل النصي" والحقيقة، ان هذا العنوان يدور في فضاء النص وعلاقته بالواقع، اذ لكل عمليه فهم اعراف ومبادئ معهوده معروفه، ولقد تم التركيز في هذا البحث حول امكانيه الوصول الى دلالات التي ترشحت بواسطه الأبنية اللغوية، والفنون البلاغية، وتخبر المتلقي عما وظفه الامام الحسين (عليه السلام) في اكثر من مرحلة من مراحل النهضة الحسينية، اذ يمثل السجل دور المقوّم للنص وقد تناول هذا السجل نصوص بلاغيه تنبأ عن ما حملته القضية الحسينية من معاني البلاغة والحجاج، مثلت احد المحاور المهمة لذلك القيام المبارك والتي تسربلت بجانب البيان الى جانب القيام والدفاع المقدس عن حياض الاسلام وقد تنوعت مصادر هذا السجل بين بحوث وكتب ومقالات بلاغيه اشارت الى بيان الامام الحسين (عليه السلام).

المبحث الاول: السجل النصي:

إنّ قراءة الخطاب الحسيني بواسطة السجل النصي، يستبطن مدى تمثلات معاني هذا الخطاب عنده إذ أنّ حيثيات الخطاب الحسيني وخطاب المعصوم جملة ليست كسائر الخطابات سيّما أنّ خطاب المعصوم هو صنو الخطاب القرآني لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومهما حاز القارئ على خلفيات مرجعية وأدوات قراءة الخطاب تبقى خطابات المعصوم قلاع عصيّة عن

إدراك تمام المعنى المقصود المنشود منها ،ولا ينال فهم وإدراك تلك اللآلئ والمرجان الاذو حظٍّ عظيم .

نتعرض لرد الإمام الحسين (عليه السلام) حينما عزم يزيد أخذ البيعة منه عنوةً بقوله (عليه السلام): (يزيد رجل فاسق شارب للخمر ، قاتل للنفس المحترمة ،ومثلي لا يبايع مثله) [١]

وهنا يجول القارئ في ربوع هذه المفردات المملؤة بالبصيرة والاقدام والتصدي لشخصية غير مؤهلة وتحمل فكراً منحرفاً، محاولة التصدر لقيادة الأمة وتروج لمبادئ منحلة تصادر رسالة السماء وجهود الرسول وآل البيت (عليهم السلام) حيث إنّ الإمام كانت أولى خطواته التمهيد لمشروع عظيم قوامه رفع الحجب عن بصائر الناس وتبصيرهم بمشروع بني أمية، فهو قدّم صفات هذا الحاكم، ومن يريد أخذ البيعة لنفسه، وبعدها طرح عقيدته، وأشار لعدم الرجوع عن ثوابته، وهنا جاء الإمام بأسلوب التقرير والايضاح للسامع، وهو أسلوب بلاغي عدّد فيه الإمام أوصاف يزيد عندما أشار إلى الموصوف باسمه ثم الايغال في أوصافه وسماته ، وقول الإمام **(لو لم يكن في الدنيا ملجأ ، لما بايعت يزيد)**[٢] وهنا جاء الإمام بالأفعال المضارع والماضي (يكن و بايعت) موظفاً الحال والاستقبال أما الماضي إذا اقترن بالشرط أفاد أستمرارية الحدث وإيراد الجملة بفعل المضارع يبعث على التجدد والحدوث قد جيء بالفعل بايعت دلالة الاستمرارية بحسب المقام لإسناد المعنى .

وقوله (عليه السلام) **" ألا ترون الى الحق لا يعمل به والى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله ، فأني لا أرى الموت إلّا سعادة[٣] ، والحياة مع الظالمين إلّا برما"**[٤]

وفي هذه الفقرة من خطاب الامام يستنبط قارؤنا الضمني ويصل السابق باللاحق فقوله (عليه السلام)**"يزيد رجل فاسق ، شارب للخمر ، قاتل للنفس المحترمة..... ثم قوله الا ترون الى الحق لا يعمل**

به، والى الباطل لا يتناهى عنه" لقد اشار القرآن الكريم لهذا الربط والتواصل بقوله تعالى **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم** الفاسقون)(المائدة ٤٧)

والامام قد أشار للمقدمات وما ستؤول إليه النتائج عندما قدم صفات يزيد – فاسق ،شارب للخمر ، قاتل النفس المحترمة ، وأشار للنتائج

وهل يرجى بعد ذلك أن يعمل بالحق وأن يتناهى عن باطل و القرآن صريح اكّد هذا المبدا لا حكم لله في ظل سلطان الفاسقين والإمام بقوله: **(إنّي لا أرى الموت إلّا سعادة ، والحياة مع الظالمين الا برما)** تجد لنا الحلقة المفقودة التي كشفت لنا المعنى وقوله :**(لو لم يكن في الدنيا ملجا ولا مأوى لما بايعت يزيد)** [٥]إذ الإمام الحسين (عليه السلام) كان يحض بهذه الخطابات وأمثالها ويبصِّر أبناءها، ويشحذ هممهم لنصرته (عليه السلام) وأخذ بيعتهم لقيامه المقدس وكانت انطلاقة نهضته (عليه السلام) بياناً صريحاً لمحتوى يزيد ، الذي حاول والده معاوية في حياته التمهيد لعهده وأخذ البيعة من الناس لخلافته بعده ، و الامام بهذه الكلمات وأشباهها القى الحجة على المسلمين وذكّرهم بتكليفهم الشرعي سراً وجهرا ، إذ أن ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) كانت ثورة إحياءلما إندرس واندثر من معالم الدين الحنيفة على يد معاوية وخلفه يزيد وهي حركة بعثت الروح في جسد الأمة الاسلامية ثائرة ، إنّ الذي يريد التسلّط على رقابكم تحت لواء خليفة رسول الله ،ونسخة أبي سفيان قبال الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) لكن بلباس الرسالة والخلافة أي خليفة الرسول والإمام الحسين (عليه السلام) كانت نهضته إحياء لسنن عطلت على يد بني امية إذ قوله: **"ألا ترون الى الحق"** بداه بهمزة الاستفهام لغرض التنبيه على الخطأ وجاء بالمسند إليه محذوف من قوله **"إنّي لا أرى "** إذ جاء بالمسند إليه محذوفا للعلم به وقوله :**"الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين الا برما "** وهنا تشبيه بليغ عقلي بعقلي وكذا هو الحال مع **" الحياة مع الظالمين الا برما "** هو تشبيه بليغ أيضا .

وقوله :**"إنّي لم أخرج أشرا ولا بطرا ، ولا مفسدا ولا ظالما ، إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ، أريد أن آمر بالمعروف أنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي أبي علي بن أبي طالب "** [٦]

وهنا الإمام يشير صراحة إلى استراتيجية نهضته موجز القول: **"اسير بسيرة جدي وأبي"** وهنا من حيث يشعر القارئ والمتلقي أو لا يشعر إن الامام يذكّر بمنزلته من الرسول والإمام هو خليفة الرسول وسبطه وابن الإمام وسليله ، و وريث الرسالة والنبوة.

... . إلى ما شاء الله من المعاني التي تتولد من عبارة الإمام وتنبع من أهدافه ومقصودية نهضته ، وإن كان هذا الخطاب قد كشف لنا عن حيثية قد غفلنا عنها وهي أن سنّة النبي (صلى الله عليه وآله) قد حرفت منذ عهد ليس بالقريب، وكانت طلائع هذا العهد مع بداية خلافة بني أمية ولم تكن مرحلة تسنم يزيد إلّا الدرك الاسفل منها في الانحراف والانحطاط ، وهي خطوة في مسيرة الجور والضلال ، وإن كان عهد يزيد موغلا بالفجور علنا على رؤوس الاشهاد إلّا أن عهده حلقة من سلسلة مهدت لنهاية مأساوية لقيم الأمة وثوابتها، والتي جعلت من خير أمة وصفها القرآن الى أمة قتلت نفس النبي وسبطه شر قتله،فأصبح لزاما قيام الإمام،والنهوض بمسؤولية الأصلاح،والدعوة لنصرته،ومؤازرته في القيام(فالحسين اولى من كل احد في المطالبة بإعادة حقوق الامة لإنه يمثل دعوة الحق بأجلى مظاهرها.....)[٧] وفي معرض خطابات الإمام يستوقفنا هذا المقطع منها (من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ، ناكثا لعهد الله . فخالفا لسنة رسول الله(صلى الله عليه وآله) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله ان يدخله مدخله)[٨]

لقد وانْ شهد التاريخ البشري طوال مسيرته صراع مرير بين جبهة الحق وجبهة الباطل ، واخذ هذا الصراع مساحة شاسعة في المدونات التاريخية اذ لكل مرحلة أئمة حق قبال أئمة باطل ، ويعلو من خلال هذه المرحلة او تلك نداء لنصرة الحق واهله وتقدم في سبيله التضحيات الجسام

ولم يستثنِ من هذه التضحيات حتى الخواص من الخلق وأن كانت ذاكرة التاريخ يقظة ولم تغفل تسجيل كل حدث وصورة من هذا الصراع،منذ عهد آدم و كان الانبياء هم الرعيل الاول والجهاديون

السباقون في مضمار الظل، إذ سخوا بأرواحهم وما يملكون على مذبح الحق والعدل واقتفى اثرهم الأوصياء والأولياء والصالحون ، ولم يتركوا هذا الأمر ما دام للباطل أهلا ودعاة ، وقد أشار تعالى في محكم التنزيل إلى هذه الحقيقة الراسخة الجذور في التاريخ قال تعالى { وكأيّن من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين } آل عمران، ١٤٦

وإن كانت الفترة الزمنية التي قطنها الامام الحسين (عليه السلام) في مكة فسحت للامام أن يوقظ الناس على على جرائر بني أمية للقرآن والسنة النبوية الشريفة ، وقد استثمر الامام هذه الفترة الوجيزة على أحسن ما يكون في تعبئة العقول وشحذ النفوس فهي فترة تمهيد وتبليغ هادفة تتطلع لوعي الأمة الاسلامية وتبشر بولادة يقضة عقبة غفلة هيمنت على عامة الخلق .

وهنا بدا الإمام مقالته ب(من) اسم الشرط الجازم الذي دخل على فعل الشرط (رأى) وهنا تكمن دلالة دخول من الشرطية على الفعل الماضي وتجعل (من) محلا جازما لجور السلطان إذ أورد الامام لنا اسم الفاعل في سياق جملته الاسمية (جائرا ، مستحلا ، ناكثا ، مخالفا) دلالة على الثبوت والدوام والاستمرار لحكومة هذا السلطان.

ومن خطبه الصادحة المدْوية قوله (عليه السلام) (ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن ، واظهروا الفساد ، وعطلوا الحدود ، واستأثروا بالفيء ، وأحلوا حرام الله ، وحرموا حلاله وأنا أحق من غيري [٩]

لقد كانت هذه الخطابات واشباهها للإمام المعول الذي قطع على بني أمية نشوة غيهم ، وأتى على بنيانهم من القواعد ، فخر عليهم السقف من فوقهم ، حينما أضحى الناس يصغون للإمام ، مستجيبين للامر ، وقد وظف الإمام موسم الحج، فصدح بثورته قارعا طبول الانتفاضة ، لقد دق ناقوس الخطر في سلطان بني امية واستشعروا خطر قيام الإمام ووثبته على جورهم ، فما كان منهم الّا أن يحيكوا له في غياهب الحجرات المظلمة المؤامرات للتخلص منه.

مما حذا بالإمام بالخروج من مكة خوفا من أن تستباح مكة بقتله فكان يصرح بقوله (يقول لي ابن الزبير : كن حماما من حمام الحرم ، ولئنأراقتل وبيني وبين الحرم باع أحب اليّ من أن أُقتل وبيني وبينه شبر ، ولئن أُقتل بالطف أحب إليَّ من أن أُقتل بالحرم)[١٠]

وهنا التفاتة فنية من الإمام في تكرار الأفعال الماضية في النص مما يشير إلى عدة معان منها : تحقق الأمر وثباته ، المساهمة في إقناع المتلقي إنّ الأمر صار واقعا ، يساهم في سرد الحوادث والذكريات و بيان الامر على من أشكل عليه الحال .

وفي أثنا ء خروج الإمام للعراق وعند مسيره رأى فسطاطا مضروبا ،فسأل عنه ،فقيل له :هو لزهير بن القين ،وكان راجعا من الحج يريد الكوفة ،فأرسل إليه الإمام الحسين (عليه السلام) (أنْ القني أُكلمك فأبى أن يلقاه ،وكانت مع زهير زوجته ،فقالت له : سبحان الله يبعث إليك إبن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلاتجيبه؟

فقام يمشي إلى الحسين (عليه السلام) فلم يلبث أن أنصرف وقد أشرق وجهه فأمر بفسطاطه فقلع ،وضرب إلى لزق فسطاط الإمام الحسين ،ثم قال لأمرأته :((أنتِ طالق !فتقدمي مع أخيك حتى تصلي إلى منزلك ،فإني قد وطنتُ نفسي على الموت مع الحسين ! ثم قال لمن معه من اصحابه :من أحب منكم الشهادة فليقم ،ومن كرهها فليتقدم ،فلم يقم معه منهم أحداً ،وخرجوا إلى المرأة وأخيها حتى لحقوا بالكوفة)) [١١]

والإلتفاتة الفنية عندما بعث الإمام لزهير بقوله (أنْ القني اكلمك) وهنا جاءت (أنْ) بمعنى (أي التفسيرية) فأرسل إليه (أي ألقني أكلّمك) وفعل الأمر هنا حقيقي صدر من الأعلى رتبةً إلى الأدنى وخرج إلى غرض النصح والإرشاد وهو من فنون علم المعاني .

والتفاتة أُخرى في حديث زهير مع زوجته (وطّنت نفسي على الموت مع الحسين) وفي العبارة فن بلاغي متمثلا الإيجاز بالقصر ودلالة (وطّنت) تشير لمعنى (ذللت ، ومهدتها للقادم) إذ كم

اسغرقت هذه النفس كي تبلغ مرحلة وطّنت وإيما توطين ! (على الموت مع الحسين) اي فناء الذات في ذات الله والإيمان المطلق بالقضية .

وعندما وصل نبأ استشهاد مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة كان الإمام في مكان يسمى (الزبّالة) قام في الناس خطيبا فقال : " ألا إنّ أهل الكوفة وثبوا على مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة فقتلوهما ، وقتلوا أخي من الرضاعة ، فمن أحب منكم أن ينصرف فلينصرف من غير حرج ، وليس عليه منا ذمام " فتفرق الناس وأخذوا يمينا وشمالا ، حتى بقي في أصحابه الذين جاؤا معه من مكة ، وإنّما أراد ألّا يصحبه منهم إلّا ذوي البصيرة [١٢]." فكره أن يسيروا معه الا وهم يعلموا علامَ يقدمون ، وقد علم أنّهم إذا بين لهم لم يصحبه إلّا من يريد مواساته والموت معه " [١٣]،

وهنا نكتة بلاغية في حديث الإمام عن مسلم وهانئ ، أخي من الرضاعة ،ومن علماء العربية والبلاغة من أشكل على التكرار و لم يعده من البلاغة في شيء منها إلّا بشروط منها :-

١. إذا لم يشعر التكرار بالملل والضجر.
٢. تغيير باللفظ المكرر بالزيادة أو نقصان أو بتقديم أو تأخير.
٣. تغيير المحيط الذي ينزل فيه اللفظ المكرر وأن يعمل فائدة جديدة أومعنى جديد .

وهنا استوفى الفعل (قتل) الشروط الآنفة الذكر جميعا فتحققت بلاغة التكرار (وقتلوا أخي من الرضاعة)هي كناية عن نسب وقرب إذ دونت المصادر التاريخية أن (عبد الله بن يقطر)هو أخو الإمام الحسين (عليه السلام) من الرضاعة وسفيره لأهل الكوفة وهنا أفادت لفظة (قتلوا) معنىً جديداً وخبراً آخرَ .[١٤]

وقول الإمام الحسين (عليه السلام) :(الناس عبيد الدنيا ، والدين لعق على ألسنتهم ، فإذا مُحّصوا بالبلاء قلَّ الديانون) وفي النص تشبيه بليغ ورد مرتين المرة الأولى (الناس – عبيد الدنيا) وفي المرة الثانية (الدين – لعقٌ على ألسنتهم).

وهنا الإمام جعل من الناس مشبه ، وعبيد الدنيا مشبه به ، والدين مشبه -لعق على ألسنتهم مشبه به ، من جماليات التشبيه البليغ أن يُحذف منه الأداة و وجه الشبه ، فيغدو المشبه عن المشبه به بدون تفاوت ، وهنا أدعى للمبالغة والتوكيد ، وحذف (وجه الشبه لا يريد أن يقيد المنشأ في أمر معين بل أراده أن يبقى مطلقا ، كي يترك للمتلقي حرية التخيل لوجهه على وفق ما تمليه انفعالاته ومشاركته الوجدانية .[١٥]

ومن أسلوب التكرار، ما ورد من خطب الإمام الحسين (عليه السلام):«أيها الناس! إنها معذرة (١) إلى الله وإلى من حضر من المسلمين، إنّي لم أقدم على هذا البلد حتى أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رُسلكم أن اقدم إلينا إنّه ليس علينا إمام، فلعل الله أن يجمعنا بك على الهدى (٢)، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم، فإن تعطوني ما يثق به قلبي من عهودكم ومن مواثيقكم، دخلت معكم إلى مصركم، وإن لم تفعلوا وكنتم كارهين لقدومي (٣) عليكم انصرفت إلى المكان الذي أقبلت منه

إليكم.» [١٦]فسكتوا، وبقوا ملازمينه، وبعد أن أنهى صلاة العصر خطبة فيهم خطبة أخرى جاء فيها بعد أن حمد الله وأثنى عليه..(**أمّا بَعدُ أيُّهَا النّاسُ ! فَإتَّكُم إن تَتَّقوا وتَعرِفُوا الحَقَّ لِأَهلِهِ يَكُن أرضى لله ، ونَحنُ أهلَ البيتِ أولى بِوِلايَةِ هذَا الأَمرِ عَلَيكُم مِن هؤُلاءِ المُدَّعينَ ما لَيسَ لَهُم ، وَالسّائِرينَ فيكُم بِالجَورِ وَالعُدوانِ ، وإن أنتُم كَرِهتُمونا وجَهِلتُم حَقَّنا وكانَ رَأيُكُم غَيرَ ما أتَتني كُتُبُكُم وقَدِمَت بِهِ عَلَيَّ رُسُلُكُمُ ، انصَرَفتُ** عنكم) [١٧]

لقد استند الإمام الحسين (عليه السلام) في هاتين الخطبتين إلى توظيف أسلوب التكرار الذي هو نوع من أنواع التوكيد والتي يراد أمر بالغ الأهمية قد عدّه الحجاجيون عاملا من عوامل تبيان المعنى واستخراجه من طاموره المضمن فقد أشار الشريف الجرجاني إلى التكرار بقوله التكرار

عباره عن الاتيان بشيء مره بعد أخر[١٨] وكذا هو قول ابن فارس «التكرير واراده الابلاغ بحسب العناية بالأمر»

والإمام الحسين(عليه السلام) قد كرر عدة الفاظ ليجعل من المتلقي مدركا لمرامي هذا التكرار وفكرة الثورة وتبيان مقاصدها ترسيخا لها في الاذهان إذ إن هذا الاسلوب يعمل من الطاقة الايحائية لها القدرة، على زيادة تمكين القوة الحجاجية للنص والمخاطب.

كما وإنّه يرشدنا إلى مراد المخاطب ويرسخ الفكرة لدى المخاطب فلو استعرضنا العبارات التي وظّف الإمام(عليه السلام) التكرار فيها(أتتني كتبكم، قدمت عليّ رسلكم، كنتم لمقدمي كارهين، وإن أنتم كرهتمونا، انصرفت عنكم) إذن ما جاء به الإمام(عليه السلام) في الخطبة الاولى كانت الخطبة الثانية له بمثابة الجرعة الإضافية من القوه والاسناد الحجاجي ومنحته تاثيرا إضافيا وكانت أشد إمضاءً في المتلقي« فتكرار اللفظ ذاتها في أكثر من موضع يعد من أفانين القول الرافد للحجاج المدعمة للطاقة الحجاجية»[١٩]

إذ أنّ التكرار يحمل طاقة حجاجية إضافية وتكشف أشياء جدية لدى المتلقي وتعينه على إدراك مقصود المحاجج« ومن تكرار ما هو أخفى وأشد أثراً في المتلقي إنّه التكرار الذي يحمل إضافة دقيقه لما كرر فيستعيد ما قاله، ولكن يضيف إليه ما يجعله بعيدا كل البعد عن التماثل التام هذا النوع من التكرار هام وضروري

الخطاب الحجاجي لأنه يؤكد بالفعل تقدما في الخطاب فالمتكلم حين يستعيد ما قاله ويضيف إليه إنّما ينطلق من أمر ويبني عليه فما كان مقدمة يصبح حجة وما كان حجة يصبح مقدمة لحجة أُخرى»[٢٠]

والإمام(عليه السلام) في الخطبة الاولى قد خاطبهم(.... فاعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم ومواثيقكم...) ثم عاد لصياغة مقصده مرة أخرى في الخطبة الثانية بعبارة وجملة حملت نفس المعنى السابق بألفاظ مغايرة إذ كان تكرار في مضمون الخطاب" إن تكرار مضمون على مستوى

الجمل..... له أهميه خاصه في الدفع إلى درجة أقوى، وهذا ملء يزيد من فعالية هذه الآلية اللغوية في اقناع المخاطب واستمالته... لعله من أجل ذلك- أبلغ في إقناع المخاطب بوجهة نظر المتكلم، أو دعواه أو مصداقيته "[٢١]

ومن شواهد البلاغة الحسينية قول الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء عندما خلا معسكره عليه السلام من الرجال والمقاتلين بعدما تقدموا بين يديه دفاعا عن الدين والمذهب، وبقي عليه السلام وحيدا مثخناً بالجراحات، والقوم من حوله يتحاثّون على قتله فقال عليه السلام: (أعلى قتلي تحاثّون؟!) [٢٢]

وقول الإمام(عليه السلام) هنا فيه إستفهام تحوّل من الحقيقة الى المجاز وغرضه (عليه السلام) انتزاع الإقرار من القوم والاعتراف بهذا الجرم الشنيع مضافاً اليه تعجبه (عليه السلام) مما يقدمون عليه، والامام (عليه السلام) لم يتعجب من تجمعهم بل عجبه من إجتماع كلمتهم عليه وتركهم يزيد وفعاله التي خرجت من أعراف الأمة فضلا عن تعاليم الدين «والهمزة إذا دخلت على الفعل تخرجه إلى التعجب والإنكار والهمزه يطلب بها أمران "تصور أو تصديق "

«والتصور هو إدراك المفرد نحو- أعليّ مسافر أم سعيد؟.... والإجابة تكون بالتعين» [٢٣]

أمّا التصديق « وهو ما يُجاب عنه ب"نعم" أو "لا" نحو أحضر القاضي فتجيب بـ "نعم" أو" لا"[٢٤]

ومن« معاني الهمزة إنّها تفيد التعجب» [٢٥]نحو قوله تعالى:﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾هود ٧٢

((أما والله! لا تقتلون بعدي عبدا من عباد الله أسخط عليكم لقتله مني)) [٢٦]وإذا عرّج بنا المقام على علم المعاني ودخول الجار والمجرور وتقدمه الذي أفاد دلالة إضافية للمعنى العام للنص وهي دلاله الاختصاص بتقديم شبه الجملة على الجملة الفعلية ويقول الدكتور عبد الله صولة: « للتقديم والتأخير

بالمقياس النحوي وظيفة حجاجيه من نوع آخر وهي إنّه إذا أدخل عليه الإستفهام أفاد التشنيع على الخصوم إفادةلا يمكن أن تحصل لو لم يكن لجوء إلى التقديم والتأخير» [٢٧]

ونخلص القول بأن أيّ تغيير في نظام الجملة المتعارف عليه يؤدي إلى تغيير في الدلالة مما يزيد في الحجاج والقوة الحجاجية .

وينتقل بنا القارئ مع خطاب الإمام الحسين(عليه السلام) لنقف برهة من الزمن عند أحد مقامات البلاغة الحسينية "الالتفات" ونلحظ مصداقه الالتفات عند مقطع من كتاب الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد ابن الحنفية "بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف يا بن الحنفية أن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وإنّي لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وإنّما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي ابن أبي طالب عليه السلام فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين" [٢٨]

إنّ هذه النقلات النوعية بين فقرات الخطاب الحسيني وهذه اللياقة البلاغية التي تفرّد بها الإمام في كلامه تثير لدى المتلقي أسئلة قيّمة منها هذا الأسلوب الذي وظّفه الإمام(عليه السلام) لبلوغ هذا الفن وتمكينه من تأدية المراد في الحجاج، إذ الإمام بهذه الانتقالة من الغيبة إلى الحضور، (هذا ما أوصى به الحسين..... إلى أخيه) وقد أدّى الوصية دون استعمال أسلوب الأمر" أوصيك" الدالّ على الرفعة والعلو تعظيما لشأن أخيه إذ قرنه بنفسه وعند قول الإمام ((.... أنّ الحسين يشهد ألّا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله...)) مبتعداً عن الأنا "أنّي أشهد" ودلاله ذلك تواضع الإمام لله عز وجل[٢٩]

وقد عرف ابن المعتز(٢٩٦هـ) الالتفات بقوله »هو إنصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك ومن الالتفات الانصراف عن المعنى يكون فيه إلى معنى آخر» [٣٠] وفي التفات آخر للإمام الحسين (عليه السلام) (وأني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وإنّما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله) والالتفات هنا عند سبب الخروج لكي يمكن المتلقي من الالتفات المسوغات الخروج. إنّ هذه الالتفاتات من الإمام الحسين عليه السلام قد وجدت صداها عند أخيه ابن الحنفية إذ كانت هذه الالتفاتات تبيان صريح بأسلوب بديعي القى ظلاله على ذهن المتلقي وأفحمه بالحجة التي جعلته يسلّم بضرورة خروج الإمام(عليه السلام) كما أدّى هذا الالتفات فائدة الاختصاص إذ صرف الإمام ذهن المتلقي الى أنّ خروجه اختص بالأصلاح(طلب الإصلاح في امة جدي صلى الله عليه وآله.....). إلى فائدة الالتفات بقوله «هو فن خلال جذل فيه هزل وتحريك من السامع» [٣١]إذ يجعل المتلقي أو السامع في صلب المشهد وعمق القضية انصرف الإمام (عليه السلام) توجه المتلقي من معارضه ومنكر عليه إلى تأييد وتسليم بالقضية والقيام، وللالتفات عدة مصطلحات منها «الصرف الانصراف العدول التلون مخالفه مقتضى الظاهر وشجاعة العربية» [٣٢]

كما يبين ابن الاثير سبب تسمية العرب لأسلوب الالتفات الشجاعة العربية بقوله «إنّما سمي بذلك لأنه شجاعة هي الاقدام وذلك أنّ الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره ويتورد ما لا يتورده سواه» [٣٣] مما يدلنا أنّ الالتفات لا يتمكّن منه إلّا من كانت لديه شجاعة الأُسلوب وبديهية البلاغة كي تمكنه من إنجاز مطلبه وترسيخ قوائم حجاجه في نفس وذهن المتلقي واستمالة الأفئدة وثني أعناق المقاصد إليه ؛إذ أنّ الاتفاق يصرف المتلقي من المعنى العام إلى المعنى الخاص والاوّل لدى الخطيب وتجعل المتلقي منشدا إليه منصرفا إلى توالي مقصدية المخاطب منصب الفكر والتفكير على ما تضمر

عباراته منقطعا عن كل ما يمكن تمليه عليه ظنونه وتوقعاته وهذه الاساليب بمجملها تنبأ عن لياقة بيانية عالية لدى الامام الحسين(عليه السلام)

ويمضي بنا القارئ الضمني ويحط رحال هذه المرة عند آلية جديدة من السلَّم الحجاجي وهي صيغه التفضيل" أفعل"

واسم التفضيل وإنّما هو« صفة تؤخذ من الفعل لتدل على أنّ شيئين اشتركا في صفه وزاد أحداهما على الاخر فيها مثل خليل أعلم من سعيد وأفضل من»[٣٤] وصيغة" أفعل التفضيل "هو «اسم مشتق على وزن أفعل يدل في أغلب على أنّ شيئين اشتراكا في المعنى وزاد أحداهما على الآخر فيه»[٣٥]

هذا المعنى في قول الإمام الحسين(عليه السلام) لابي هرة((..... أيم الله لتقتلني الفئة الباغية وليلبسنّهم الله ذلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً يسلطنّ عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قوم سبأ إذ ملكتهم أمرأة منهم فحكمت في اموالهم ودمائهم)) [٣٦]

ونلحظ في هذا الموضع من الخطاب إنّ الإمام الحسين (عليه السلام) قد قدّم عدة حجج وهذه الحجج تلاها الإمام" حتى" وتلت حتى حجة تشتمل على صيغة التفضيل "أذل" على وزن "أفعل" اذ زادت هذه الإضافة من الإمام على هذا المقطع من قوة حجاجية مما حدّا بالمخاطب أو المتلقي أن يسلّم ويذعن لحجة خصمه.

وإذا عاد بنا قارؤنا الضمني إلى بداية الحديث عن" اسم التفضيل "اذاً هو صفة تؤخذ من الفعل ودلت على إنّ شيئين اشترك في صفة واحدة وهم معسكر بني أمية وقوم سبأ وقد زاد أحداهما على الآخر في صفه أذل إذ الإمام(عليه السلام) يخبر ويحتج بهذا الخبر عما سيلقى هذه الفئة في قادم الايام.

الخاتمة:

نستشف مما سبق إنّ الإمام الحسين (عليه السلام) في مجمل خطاباته قد وظّف أشد أساليب البلاغة إمضاءً وتأثيرا في المخاطب والمتلقي من أساليب البيان والمعاني والبديع والحجاج وآلياته ولم يدّخر جهداً في إبلاغ الرسالة والنهوض بعبء التكليف المنوط به كإمام وحجة وخليفة بأمر السماء؛ لكيلا يكون لناس حجة على الله.

النتائج:

١. ان السجل النص يكشف لنا عبر آليته البلاغية عن مدى الحمولة المعرفية والحجاجية التي نهضت بها اغلب النصوص الحسينية
٢. كشفت لنا اليه السجل النصي عن وهن الإمبراطورية الأموية التي تسربلت بالإسلام وبزي الخلافة اذ رفعت لنا نصوص المعصومين والتابعين بإحسان، استار المؤامرة ، بواسطة حجاجيه رفيعة، تقلدوها اصحاب القضية.
٣. ان النصوص التي وردت توضح للمتلقي اهم المبادئ والمثل التي جبل عليها انصار ومريدي النهضة الحسينية .
٤. ان اغلب العبارات الآنفة الذكر كانت تسرد للمتلقي حقب من التاريخ الاسلامي وما قبله بكيفية الجمل المقتضبة، إذ تنم عن كفاءة المبدع .
٥. حمل لنا السجل النصي تنبؤ المعصوم بالقادم والاشارات التي كانت اخبار محتومة الزمت المعارض قبل المؤيد بحجيه النهضة الحسينية.

الهوامش

١. مقتل الحسين ، ج١، ص ١٨٤.
٢. موسوعة كلمات الامام الحسين (عليه السلام) لجنه الحديث في معهد باقر العلوم (عليه السلام)، ص٣٥٣
٣. تاريخ ابن عساكر ، ج ١٤. ص٢١٧ ، وكتاب تاريخ الطبري ، ج٥، ص٤٠٤
٤. صحيفه الحسين (عليه السلام)، ص٢٧٨
٥. موسوعة كلمات الامام الحسين (عليه السلام)، لجنه الحديد في معهد باقر العلوم (عليه السلام(، ص٣٥٣
٦. بحار الانوار، ج٤٤،ص٣٢٩
٧. مع الحسين في نهضته، ص٦٩
٨. تاريخ الطبري، ج٥، ص٤٠٣

٩. تاريخ الطبري : ج٥: ص ٤٠٣

١٠.كامل الزيارات : ص١٥٠

١١.الاخبار الطوال: ص٢٤٦-٢٤٧

١٢.مقتل الحسين ، ج١ ، ص٣٢٨

١٣.تاريخ الطبري ، ج٣ ، ص ٢٩٠

١٤.موسوعة الامام الحسين (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ ، ج٣ ،ص ٢٠٩

١٥.بحث بنية المشابهة في نثر الامام الحسين (عليه السلام) ، ص١٠

١٦.موسوعة كلمات الامام الحسين (عليه السلام)، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم، ص٤٣١،تاريخ الطبري،: ٤٠١/٥

١٧.مناقب آل ابي طالب، ١٠٤/٣

١٨.التعريفات، ٩٠/١

١٩.الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه، ص١٦٨

٢٠.المصدر نفسه، ص١٧٢

٢١.الحجاج في الخطاب البنيوي دراسة في وسائل الاقناع (رسالة ماجستير)، ص١٧١

٢٢.تاريخ الطبري، ج٥ص٤٥٢

٢٣.جواهر البلاغة، ص٧٨

٢٤.معاني النحو، ج٣،ص١٩٩

٢٥.معاني النحو، ج٣،ص٢٠١

٢٦.موسوعة كلمات الامام الحسين (عليه السلام)، ٦٠٩

٢٧.الحجاج في القران، ٤٤٦

٢٨.بحار الأنوار،ج٤٤،ص٣٢٩-٣٣٠

٢٩.ينظر الحجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام)، ص١٦٢

٣٠.كتاب البديع، ص٥٨

٣١.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل، ط١،ص٢١٠

٣٢.ينظر لأسلوب الالتفات في البلاغ القرآنية، ص١١

٣٣.المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، ج١٦٨/٢

٣٤.جامع الدروس العربية، ص١٩٩

٣٥. النحو الوافي، ج٣،ص٣٩٥

٣٦.بحار الانوار، ج٤٤،ص٣٦٨

المصادر:

١. أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، طبل، حسن، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط١-١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٢. الامام الحسين ثوره عاشوراء من وجهه نظر المستشرقين، علي، رائد غالب، مؤسسة وارث الانبياء للدراسات التخصصية، النجف- العراق، ط١-١٤٤٠هـ-٢٠١٨م.

٣. بحار الأنوار، المجلسي، محمد باقر، منشورات مطبعه وزاره الارشاد الاسلاميه، ايران، ط١-١٣٦٥هـ.

٤. بحث الحجاج في القران، الوصيفر، احلام عبد العزيز،وجدوع، عزة محمد، قسم اللغة العربية، كليه الآداب، جامعه الملك فيصل، مجله البحث العلمي، في آداب، المجلد١٩،العدد ١٩،ج١١-٢٠١٨م.

٥. تاريخ الطبري، تاريخ الامم والملوك،ج٥، الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر، بيت الافكار الدولي، عمان- الاردن، ،٢ط،١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

٦. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسين الشافعي، المحقق علي الشيري، دار الفكر للطباعه والتوزيع، القاهرة، مصر،ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م

٧. جامع الدروس العربية، الشيخ الغلاييني، مصطفى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط٣٠-١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٨. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، الهاشمي، السيد احمد، تدقيق دكتور يوسف الصميلي، مؤسسة الصادق، قم-ايران، ط٢-١٤٤٢هـ-٢٠٢١م

٩. الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه، د. الذريدي، سامية، عالم الكتب الحديث عمان- الاردن، ط٢-١٤٢٨هـ،٢٠٠٧م.

١٠. الحجاج في كلام الامام الحسين، جاسم، عماد طالب موسى، دار المؤمن، قم- ايران، ط١-١٤٤٠هـ-٢٠١٨م.

١١. كتاب الاخبار الطوال، الدينوري، ابو حنيفة احمد بن داوود، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، ط١-١٩٦٠م.

١٢. كتاب البديع ابن المعتز عبد الله دار المسيرة، بيروت، لبنان، ط٣١-١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

١٣. كتاب التعريفات، ج١، الشريف الجرجاني، علي بن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط١-١٤٠٣هـ-١٩٠٣م.

١٤. كتاب كامل الزيارات، ابن قولويه، أبو القاسم جعفر بن محمد، دار السرور، بيروت- لبنان، ط١-١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

١٥. كتاب مقتل الحسين،ج١، المقرم، السيد عبد الرزاق، دار الكتب الإسلامية، النجف، العراق،ط١، ١٣٧٦هـ١٩٥٦م.

١٦. كتاب مناقب آل ابي طالب، ابو جعفر ابن شهر اشوب، محمد بن علي، تحقيق دكتور يوسف البقاعي، دار الاضواء، بيروت- لبنان،ط٢-١٤١٢هـ-١٩٩١م.

١٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، جار الله، ابو القاسم محمود ابن عمر، تحقيق الشيخ عادل احمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٣-١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

١٨. المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ابن الاثير ضياء الدين نصر الله ابن محمد مطبعه حجازي، القاهرة- مصر، ط١-١٣٥٤هـ-١٩٣٥م.

١٩. مع الحسين ونهضته، حيدر، اسد حيدر، دار التعارف،ط٢، بيروت-لبنان، ١٣٩٩هـ.

٢٠. معاني النحو، السامرائي، دكتور فاضل، دار السلاطين، الاردن- عمان، ط١-١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٢١.موسوعة كلمات الإمام الحسين، لجنه الحديث، في معهد باقر العلوم، دار المعروف، ط١-قم، ايران، ١٩٩٥م.

٢٢.موسوعه الامام الحسين، الرينشهري، محمد، بمساعده السيد محمد الطباطبائي، والسيد روح الله الطبائي، دار الحديث، ط١-١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٢٣.النحو الوافي،ج٣، حسن، عباس، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط٣-١٩٧٥م.

Alasdair:

1. ' uslub aliailtifat fi albalaghat alquraniati, tablu, hasana, dar alfikr alearabii, alqahirata, masr, ta1-1418h-1998m .

2. alamam alhusayn thawrah eashura' min wajhih nazar almustashriqina, ealay, rayid ghalb, muasasat warith alainbia' lildirasat altakhasusiati, alnajif- aleiraqi, ta1-1440h-2018m .

3. bahaar al'anwar, almajlisay, muhamad baqar, manshurat matbaeuh wazarah alarshad alaslamihi, ayran, ta1-1365hu .

4. bhath alhujaaj fi alqurani, alwasifar, ahlam eabd aleaziz,wjduea, eazat muhamadi, qasm allughat alearabiati, kiliyh aladabi, jamieuh almalik fayusalu, majalah albahth aleilmii, fi adab, almujaladi19,aleadad 19,ju11-2018m .

5. tarikh altabri, tarikh alamam walmuluki,ji5, altabri, muhamad bin jarir 'abu jaefar, bit alafkar alduwli, eaman- alardin, ,2ta,1387h-1967m .

6. tarikh madinat dimashqa, abn easakiri, abu alqasim ealiin bin alhusayn alshaafieii, almuhaqaq ealiin alshiyri, dar alfikr liltibaeih waltawziei, alqahirata, masar,ta1, 1415h-1995m

7. jamie aldurus alearabiati, alshaykh alghalayini, mustafaa, almaktabat aleasriati, sayda, bayrut, ta30-1415h-1994m .

8. jawahir albalaghat fi almaeani walbayan walbadiei, alhashimi, alsayid aihmad, tadqiq duktur yusif alsamili, muasasat alsaadiq, qm-ayran, ta2-1442h-2021m

9. alhujaaj fi alshier alearabii biniatih wasalibh, du. aldharidii, samiat, ealim alkutub alhadith eaman- alardin, ta2-1428h,2007m .

10. alhujaaj fi kalam alamam alhusayni, jasimi, eimad talib musaa, dar almumani, qim- ayran, ta1-1440h-2018m .

11. ktab alakhibar altiwali, aldiynuri, abu hanifat aihmad bin dawwud, tahqiq eabd almuneim eamir, dar 'iihya' alkutub alearabiati, ta1-1960m .

12. ktab albadie abn almuetazi eabd allah dar almasirati, bayrut, lubnan, ta31-1402h-1982m .

13. kitab altaerifati, ja1, alsharif aljirjani, eali bin muhamad, dar alkutub aleilmiati, bayrut lubnan, ta1-1403h-1903m .

14. ktab kamil alziyarati, abn qawlwayhi, 'abu alqasim jaefar bin muhamadi, dar alsurur, bayrut- lubnan, ta1-1418h-1998m .

15. kitab maqtal alhusayn,ju1, almuqarami, alsayid eabd alrazaaqi, dar alkutub al'iislamiati, alnajifi, alearaqi,ta1, 1376h1956m .

16. ktab manaqib al abi talb, abu jaefar aibn shahr ashuba, muhamad bin eulay, tahqiq duktur yusif albaqaei, dar aladwa', bayrut- lubnan,ta2-1412h-1991m .

17. alkashaaf ean haqayiq ghawamid altanzil, waeuyun alaqawyl fi wujuh altaawili, alzamakhshiri, jar allah, abw alqasim mahmud aibn eumr, tahqiq alshaykh eadil aihmad eabd almawjud walshaykh eali muhamad mueawad, dar almaerifati, bayrut, lubnan, ta3-1430h-2009m .

18. almuthal alsaayir fi adab alkatib walshaaeir aibn alathir dia' aldiyn nasr allah aibn muhamad matbaeuh hijazi, alqahirata- masr, ta1-1354h-1935m .

19. mae alhusayn wanahdathu, haydar, asid haydar, dar altaearufi,ta2, birut-lubnan, 1399hi .

20. maeani alnuhu, alsaamaraayiy, duktur fadila, dar alsalatin, alardin- eaman, ta1-1431h-2010m .

21. musueat kalimat al'iimam alhusayn, lijanih alhadithi, fi maehad baqir aleulumu, dar almaerufi, ta1-qm, ayran, 1995m .

22. muasueuh alamam alhusayn, alriynshihri, muhamad, bimusaeidih alsayid muhamad altabatibayiy, walsayid ruh allah altabayiy, dar alhadithi, ta1-1431h-2010m .

23. alnahw alwafii,ju3, hasanu, eabaas, dar almaearifi, alqahirata, misr, ta3-1975m